وسائلُ جمع المادة اللغوية وتسجيلها:
دراسة حول الأسس المنهجية والملاحظات الميدانية

Tools of Collecting and Recording Linguistic Data:
Study on the Methodological Principles and the Operational Outlines

د. عبد الكريم جيدور*
Dr. Djidour Abdelkrim
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
Center for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر (ورقلة –الجزائر)
Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(Ouargla-Algeria)
karimn2000@gmail.com

تاريخ استلام المقال:2020/01/19	تاريخ القبول: 2020/04/03	تاريخ النشر:2020/06/15

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأهم الوسائل العلمية المعتمدة في مجال البحث الميداني الرامي إلى تسجيل المادة اللغوية من أفواه الناطقين. ويتعلق الأمر بثلاث وسائل رئيسة: الاستبانة، الاستعلام بواسطة الهاتف، والتحري عن طريق الشابكة. توضح هذه الدراسة طريقة استخدام هذه الوسائل، وأهميتها في ميدان الاجتماع اللغوي عموما، ومجال الجغرافيا اللغوية على وجه التحديد، كما توضح النقائص الملاحظة على كل طريقة، والتوجهات المتعلقة باستعمال هذه الوسائل في البحوث الميدانية المتعلقة بإنشاء أطلس خاص باللغة العربية.

الكلمات المفاتيح: جمع ؛ تسجيل ؛ مادة لغوية ؛ وسائل ؛ بحث ميداني.

Abstract

This study aims to defining the most important scientific tools approved in the field research aimed at recording original language materials from the native speakers. This matter concerns three main tools: questionnaire, inquiries by phone, and investigation through the Internet. This study explains the operational

* المؤلف المرسل: عبد الكريم جيدور البريد الإلكتروني: karimn2000@gmail.com

methodology by which using these methods, and their importance in the field of sociolinguistics in general, and the field of linguistic geography in particular, as well as the shortcomings observed in each method, and the recommendations regarding using these tools in field research related to the creation of an atlas for the Arabic language.

Keywords: Collect; Record ; Linguistic material; tools; Field research.

1.مقدمة:

تعد عملية جمع المادة اللغوية أول المراحل التي يتطلبها البحث اللساني المعمق حول نظام اللغة ومستوياتها التواصلية المختلفة، ويقر جميع علماء اللسان، ومنذ زمن بعيد، أن العمل اللغوي المنهجي سواء أكان وصفا أو تحليلا أو تعليلا، يظل بعيدا عن الهدف المنشود بقدر بعده عن الاهتمام بجمع الكم الكبير، والعدد الوفير من كلام الناطقين الفصحاء الموثوقين(الحاج صالح، 2012، ص7). ولا شك في أن الوسائل العلمية المعتمدة في هذا المجال أدركها جانب من التطور[1]، وذلك أمر طبيعي فرضته التحولات الكبيرة التي شملت نظام الحياة المدنية المعاصرة، وشدة ارتباط المعرفة الحديثة بأدوات التقانة والتكنولوجيا الرقمية. وقد أصبح اشتراط مدونة كلامية نموذجية واسعة النطاق، نوعا من البديهيات في مجال البحث اللغوي الميداني، وأنتج النقد والتوجيه المعرفي المستمر شروطا أكثر صرامة فيما يتعلق بضوابط عملية الجمع، وخصائص الاستبانات اللغوية، والمسائل الدقيقة المتعلقة باختيار العينات والاعتبارات النفسية والأخلاقية التي ينبغي مراعاتها في أثناء المقابلة المباشرة. كل هذه القضايا، وكثير غيرها، تحتاج إلى مزيد توضيح وفضل بيان، وسنحاول في الفقرات الموالية تسليط الأضواء على ثلاث من أهم وسائل جمع المادة اللغوية، كما سنناقش التصنيفات المساعدة التي وضعت لهذه الوسائل، ونبين أبرز العوائق التي تواجه هذا النوع من البحوث.

2.الوسائل الأساسية المستخدمة في جمع المادة اللغوية:

1.2. الاستبيان linguistic questionnaires:

[1] - نوعان من التطور حصلا في هذا المجال وكلاهما مقصودان في العبارة: التطور التقني الذي أدخلته تكنولوجيا اللغة، وتطور المناهج الإجرائية الذي فرضته التصحيحات النقدية التي كرستها إبستيمولوجيا المعرفة العلمية الحديثة.

الطريقة المعتمدة في استخراج معطيات لغوية مناسبة وقابلة للتحليل هي الاستبيان عن طريق المقابلة المباشرة (interview questionnaires). ومن الضروري عدم الخلط بين هذه المنهجية ومنهجية الاستبانات الكتابية (written questionnaires)، التي هي بدورها طريقة معتمدة، ولها تطبيقات كثيرة، وقد شهد البحث العلمي عودة قوية إلى هذا النوع من الاستبيانات في الآونة الأخيرة. وبصفة عامة هناك نوعان أساسيان من الاستبيانات، أحدهما مباشر، والآخر غير مباشر(أبراش، 2009، ص261. 271).

عندما يتطلب الأمر مقابلة وجها لوجه مع المتكلمين، لا بد من استخدام الطريقة المباشرة، بحيث يقوم الباحث بعرض عام توضيحي حول موضوع المقابلة، بأبسط عبارة ممكنة، ثم يشرع في طرح الأسئلة المعدة مسبقا حسب ترتيبها المنهجي في كراسة الاستبيان. يتوقع بطبيعة الحال أن يقدم المتكلم إجابة عامة أو خاصة، طويلة أو قصيرة، أو أن لا يجيب إطلاقا. وفي كل الأحوال، عندما يجيب المتكلم فمن المفترض أن لا تخرج إجابته عن حدود عامة رسمها الباحثون لهذا الاستبيان، بناء على الدراسة المسحية التي أجريت قبل الشروع في الجمع المنهجي(أبراش، 2009،273. 277).

على سبيل المثال، وضحت لنا الدراسة المسحية في إقليم ورقلة، وما يشمله من مناطق فرعية (12 منطقة)، جميع الاحتمالات الممكنة لإبدال الحروف المتحركة (المصوتات)، الطويلة منها والقصيرة. فعند إجراء المقابلة نتوقع مسبقا وبحسب منطقة إجراء المقابلة، وتصنيف المتكلم (من حيث السن والجنس والمستوى الثقافي+تاريخ إقامته، بما في ذلك هجرته أو انتقاله من مكان لآخر)، نوع الإبدال الصوتي الذي سيحدثه، والذي يهمنا في هذه المرحلة هو الاستماع إليه وتسجيل الكيفية الطبيعية التي ينطق بها هذا الإبدال، وحسب طبيعة الأسئلة المقترحة في الكراسة، سيكون عليه استخدام هذا النوع من الإبدال ونظائره في كثير من الإجابات. هذا هو المقصود بالطريقة المباشرة.

من جهة أخرى، هناك استبانات غير مباشرة، وتتميز أكبر ما تتميز بأن نهاياتها (نهايات الأجوبة) أكثر انفتاحا بكثير، ولا شك أنها تستغرق وقتا أطول لإنجازها؛ لأن الباحث يقوم بالسؤال ويسجل الإجابة في نفس الوقت. طبقا لهذه المنهجية يجلس الباحث مع المتكلم ويفتح موضوعا محددا مسبقا كمحادثة. الموضوع ينبغي أن يكون عاما ومفتوحا قدر الإمكان، مثلا: تساؤل حول الطقس، العمل في المحل، العمل في المزرعة، حول السوق والتسوق...إلخ. المطلوب من الباحث في هذه الحال أن يركز على المعطيات اللغوية المتمثلة في مفردات المتكلم (بمعنى معجمه الخاص)، وكذلك النقلات والتحويرات الصوتية التي يجريها على

الحروف المفردة والمركبة (بمعنى الظواهر المميزة التي يلاحظ أن المتكلم خالف فيها النظام الصوتي القياسي للغة العربية).

2.2. الاستعلام بواسطة الهاتف:

طبقت هذه التقنية في إعداد الأطلس الأمريكي و استحسن نتائجها كثير من خبراء الميدان، ولكنها تطرح إشكالات عديدة لاسيما درجة الوثوقية، كما أن التجارب أوضحت أنها يجب أن تتم دائما بطريقة غير مباشرة وغير رسمية، وبمعنى آخر ينبغي لمستخدمها أن يتخلى عن الاستبيان المعد مسبقا ويعتمد على مهارة المتحري وخبرته العالية في استلغاء الرواة.[1]

3.2. الاستعلام بواسطة الشابكة:

أحدث ما يتم استخدامه حاليا هو الاعتماد على الشابكة، وقد أوضحت التجارب الأخيرة أن هذه التقنية لها مزايا كثيرة، فمن الممكن أن تجمع بين النمطين المباشر وغير المباشر كما أنها تعطي صورة أعمق عن النشاط الكلامي للرواة خاصة إذا تم استعمال الفيديو في تسجيل الإجابات حيث يمكن ملاحظة القرائن غير اللغوية ودورها في إحداث الكلام، ومن مزاياها أيضا إمكانية إجرائها في شكل حوارات ثنائية أو أكثر، فضلا عن جو الأنس والأريحية الذي يكتنفها.

ومن عيوبها الواضحة الصعوبة الشديدة في تحليلها، وهناك أيضا انتقادات كثيرة تشكك في مستوى مصداقيتها ذلك أن كثيرا من التسجيلات التي رفعها الرواة على الشابكة بدت مسرحية أكثر من اللازم وغلب على بعضها التهتك والاستهتار وهو أمر يخرج البحث عن مقصوده جملة وتفصيلا.

التغير الصوتي (sound change) بوصفه مفهوما مفتاحيا للتعامل مع المادة اللغوية المسموعة:

يصح إطلاق صفة التغير الصوتي على كل عمليات التغير في لغة معينة شريطة أن يكون لها تأثير على النطق، وهو تأثير يطال هيكل النظام الصوتي وبنيته الداخلية التي نطلق عليها المستوى الصوتوحرفي أو الفونولوجي (phonological level). ومن المعلوم تاريخيا أن الدراسة الصوتية بدأت في الاهتمام بالجوانب الخارجية للتغير، من خلال دراسة الأصوات كوحدات أو ذرات، طبقا للتصور التجزيئي الذي كان سائدا طوال ق19 ومطلع ق20م، ثم تطور البحث في هذا المجال إلى ما نسميه بالنظام الصوتي (Acoustic

[1] - يراجع في هذا الموضوع: أطلس اللغة الإنجليزية في شمال أمريكا (The Atlas of North American English: Phonetics, Phonology and Sound Change).

E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

(system) (Crocker,1994) ويقتضي ذلك دراسة النشاط الوظيفي للأصوات في حالة الاستعمال الفعلي(Campbell, 2004). علما أننا نعتقد وبالاستناد إلى عدة معطيات، أن العوامل التي أثرت على النظام الصوتي للغة العربية المنطوقة في زماننا، والتي نسمعها ونسجلها حاليا، ليست كلها صوتية، وليست كلها تاريخية، فالتاريخ في حد ذاته عبارة عن سياق من الأحداث والوقائع، ويمكن التأكيد بأن ما يدفع المتكلم للتحول من مستوى كلامي إلى مستوى آخر أقل منه أو أكثر من حيث الطلاقة والفصاحة هي عوامل مركبة تركيبا شديدا. وأهم من ذلك أن نحاول الإجابة على الإشكال الجوهري الذي يواجهنا في هذه العملية وهو: إن انتقال المتكلم بين مستويات عديدة في جلسة واحدة أو خلال الإجابة على موضوع واحد يدل على استبطانه لهذه المستويات في معرفته اللغوية المكتسبة، وأن لديه قواعد تنظم هذا السلوك وتحدد الاختيارات صعودا ونزولا. فمن الضروري التساؤل عن مصدر هذه الأنظمة أولا. ثم البحث في القواعد والآليات الضابطة لعليات الانتقال بين المستويات.

يمكن أن يتعلق التغير الصوتي في أبسط أشكاله بعملية تعويض، بحيث يقوم صوت معين بالحلول موضع صوت آخر في أثناء الكلام، وقد يقع هذا التعويض بين أكثر من صوت في الكلمة الواحدة.

كما قد يحدث التغير الصوتي بفعل تأثير المحيط على المتكلمين، والدليل الذي يقوي هذا الافتراض الملاحظة التي تفيد بأن هذا التغير يظهر على لسان المتكلم في سياقات وظروف معينة، بينما يرجع إلى نمطه الأصلي في الحالات الاعتيادية.

مصطلح "التغير الصوتي" يشير في الدراسات المتخصصة إلى التغير الزمني، ويقصد به مراقبة تغير النظام الصوتي للغة من اللغات عبر الزمن. كما يشير أيضا إلى تغيرات تزامنية، وذلك عند ملاحظة الاستخدام اللغوي لمتكلم مقصود بعينه، وبطبيعة الحال لا يتوقع أن يكون لهذا التغير تأثير على النظام الصوتي للغة بكامله، يفضل المختصون التفريق بين الأول والثاني بإعطاء الثاني صفة الاختيار، فيطلق عليه اختيارات المتكلمين أو البدائل الممكنة في كلامهم (alternation).

هناك فرضية عامة مقبولة على نطاق واسع في دراسات التغير الصوتي، ولا سيما التاريخية منها، وهي تفيد بأن هذه الدراسة ثابتة ودقيقة، ويمكن ببساطة أن تطبق بطريقة ميكانيكية، بغض النظر عن العوامل المؤثرة غير الصوتية في جوهرها، وذلك مثل التأثير الواقع بسبب معاني الكلمات المتأثرة بالسياق.

في مقابل ذلك هناك أبحاث تؤكد ضرورة التفطن إلى التغير المتقطع (sporadic change) وهو الذي يؤثر جزئيا فقط على كلمة واحدة أو مجموعة محدودة من الكلمات، ولا يطرد تأثيره على كل النظائر.

مجموعة العلماء المعروفة بالنحاة الجدد الذين ظهروا في ق19 م اقترحوا قانون التغير الصوتي، في الواقع أطلق عليه اختصارا قانون الصوت (sound law)، وقصدوا به الإشارة إلى قوانين التغير الصوتي المستمر أو الثابت. وبمراجعة سياقات أعمالهم نجد أنهم تأثروا بالقوانين الطبيعية والفيزيائية التي على شأنها في تلك الفترة. إن مصطلح قانون ما زال مستخدما حتى الآن، فقد اكتشف الباحثون قوانين صوتية جديدة غير تلك التي اقترحها النحاة الجدد. وذلك مثل قانون جريم، وقانون غراسمان.

إن التغير الصوتي كما نلاحظه في الكلام العفوي يشتمل على شذوذات واستثناءات عديدة ولا مناص من الاعتراف بوجودها. ولكن هذه الظاهرة ذات أهمية استكشافية بالغة، لأن تحديد الحالات المنتظمة والأخرى غير المنتظمة هو المنهج الذي يكشف لنا سلاسل التطابقات في تاريخ لغة من اللغات. ولولا هذه الطبيعة المفارقة لأصوات اللغة لكانت المقارنة اللغوية مستحيلة.

كل صوت يُفترض أن يكون محدودا تماما داخل مجال من الزمان (ز) ومجال من المكان (م). ويترتب على ذلك أن الاستخدام الوظيفي لهذا الصوت لا يكون مفيدا إلا في نطاق جغرافي محدود، ويمكن القول إنه لا يؤدي وظيفته إلا في نطاق تنوع أدائي أو لهجة إقليمية(Lass, 1998, 1) ، وداخل امتداد زمني قابل للتحديد. بناء على هذه الاعتبارات، أصبح من المتعذر تطبيق قوانين التغير الصوتي بوصفها قوانين ثابتة ثباتا مطلقا وعامة الوجود في كل لغات العالم بنفس الشكل. ولذلك كان من الضروري التفطن لا إلى التغير الصوتي المجرد بل أيضا إلى تغير الأنظمة أي مراقبة علاقات الأصوات ببعضها في أثناء الاستخدام اللغوي العفوي.

3. التصنيفات الأساسية لطرائق تحصيل المادة وتسجيلها:

1.3. الطرق المباشرة والطرق غير المباشرة:

يعتمد المنهج غير المباشر في إجراء المقابلات اللغوية على مبدأ رئيسي هو تحصيل أكبر قدر ممكن من العفوية والتلقائية من طرف المتكلم. ولا شك أن هذا المبدأ سليم، وهو في الحقيقة الهدف النموذجي لأية عملية منهجية ترمي إلى وصف اللغة المنطوقة بدقة وأمانة. والحق أن معظم الدراسات، ولا سيما

الحديثة منها، تعتمد على الطرق غير المباشرة كونها تمنح فرصة أكبر لتحصيل لغة طبيعية خالية من الافتعال والتكلف.

في مقابل ذلك، تتيح الطريقة المباشرة فرصة للحصول على وحدات لغوية مخصوصة أو سمات نطقية محددة، وفقا لتنظيم مسبق يتسم بالترتيب والدقة على مستوى الاستبانة اللسانية. ومن أهم مميزات الطريقة المباشرة أن استخدامها هو بصورة عامة، أسهل من نظائرها غير المباشرة، كما أنها تختصر الكثير من الجهود والتحضيرات، والأوقات الضائعة، وتتفادى الحاجة المتكررة لإعادة التسجيل من البداية.

2.3. الطريقة الرسمية وغير الرسمية:

الطريقة الرسمية تشترط إظهار جميع الأسئلة والوحدات المطلوب استخراجها داخل الاستبيان وتقديمها كلها للشخص الراوي. هذا المنهج هو الذي اعتمد بصورة أساسية في مشروع فنكر للغة الألمانية وكذلك في الأطلس البريطاني،

الطريقة غير الرسمية تعتمد على فتح محادثة عامة يتم توجيهها بواسطة المتحري اللغوي لجعل المتحدث يتطرق إلى الملمح المطلوب بصفة تلقائية، لقد اعتمد لابوف هذه الطريقة في تحرياته باستخدام المكالمات الهاتفية

4. المشاكل والصعوبات التي تواجه هذا النوع من الدراسات:

1.4. مستوى النجاعة efficiency :

يرتبط هذا النوع من الصعوبات بالبعد الزمني المخصص للدراسة المسحية، ذلك أن المشكلة المطروحة هي حول الطريقة التي تمكننا من إجراء استبيان ومقابلات واسعة مع أعداد كبيرة من الأشخاص في مدة زمنية محدودة دون التطرق لإجراءات التصنيف والتحليل التي لا تقل تعقيدا وتحتاج بدورها إلى أناة وصبر كبيرين.

2.4. العينات samples :

يرتبط هذا النوع من الصعوبات بالخصائص والمميزات الواجب توفرها في الشخص الذي ستأخذ عنه اللغة، وفي الحقيقة هذا العامل يشتمل على صعوبات لا يستهان بها، فهناك من الشروط والخصائص ما يكون شديد الندرة فيصعب العثور عليه، والعكس صحيح، ما يكون فاشيا وكثيرا جدا فيصعب القول بالسيطرة عليه مهما كبر عدد العينة. وعلى العموم هناك ثلاثة متغيرات ينبغي مراعاتها في اصطفاء العينات: الجنس، العمر، الخلفية التعليمية والثقافية.

3.4. تقادم المعطيات obsolescence :

نحن نعلم أن وحدات اللغة يقع عليها ما يقع على الأشياء الحسية، فإنها إن لم تستعمل بشكل مستمر وفعال تفقد دورها الوظيفي وتختفي تدريجيا من التداول الحقيقي، وهذا المشكل واجهه فعليا مشروع أطلس بريطانيا عموما ومشروع أطلس اسكتلندا حين لاحظوا أن كثيرا من المفردات التي كان يعتقد بوجودها في قاموس الفلاحين والصيادين ونحو ذلك قد اختفت فعليا ولم يعد يفقهها حتى المعمرون.

4.4. مستوى المصداقية والثقة validity /reliability :

ويتعلق الأمر بالإشكال المعرفي والمنهجي المطروح في كل الدراسات الإنسانية والاجتماعية وهو صعوبة الفصل بين الباحث والمبحوث، أو الاحتمال القائم دوما لتسرب نوع معين من الحكم الحدسي والانطباعي impression على تحليلات الباحث للظاهرة.

5.خاتمة:

يشكل تعدد وسائل جمع المادة اللغوية تحديا مزدوجا للباحثين في هذا المجال، كما أنه في حد ذاته نوع من المفارقة المنهجية. أما كونه تحديا مزدوجا، فذلك لأنه يوفر بدائل متنوعة للعمل، إلا أنه يحصر النشاط التحليلي بطبيعة الأداة الإجرائية المستخدمة أول مرة. ومن هنا تأتي مفارقته، لأنه يحتاج إلى نوع من التكييف، والكثير من اللمسات القائمة على الخبرة العملية، أكثر من قيامها على التوصيات الرسمية الجامدة.

وبالنظر إلى التجارب الكثيرة التي تتبنى هذه الوسائل حول العالم، يتأكد يوما بعد يوم، الاستنتاج القائل بأن التفضيل المطلق لأداة إجرائية على نظائرها فيه مجازفة كبيرة، وقد يؤثر على نتائج تحليل البيانات تأثيرا يتعذر إصلاحه. ولذلك نرى مقاربات جديدة تنحو إلى نوع معين من التركيب، وذلك

E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894

باستخدام أكثر من وسيلة في أثناء عمليات الجمع، وتسليط مقاربات نفسية وتواصلية أكثر مرونة فيما يخص إجراء المقابلات المباشرة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

. أحمد مختار ،عمر. (1976). دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب. القاهرة. مصر.

. السامرائي، إبراهيم. (1981). التطور اللغوي التاريخي. دار الأندلس للنشر. الإسكندرية. مصر.

. ثروت، عبد السميع. (2011). اللهجات العربية: بحوث ودراسات. ط1. منشورات مجمع اللغة العربية. القاهرة.مصر.

. الهمداني، الحسن بن يعقوب. (1983). صفة جزيرة العرب. نشر المكتبة الحوالية اليمنية.

. الشناوي، خالد نعيم. الأطلس اللغوي والبحث اللساني عند العرب. مجلة آداب ذي قار. الناصرية. العراق.

. مرتاض، عبد الجليل. (2003). اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي. ط1. دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران. الجزائر.

. حامد هلال، عبد الغفار. (1990). اللهجات العربية: نشأة وتطورا. منشورات جامعة فرجينيا.

. جاه الله الخضر، كمال محمد. (2009). "أطلس اللغات في أفريقيا (اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي)". مركز البحوث والدراسات الإفريقية. (66). جامعة إفريقيا العالمية. الخرطوم.

. التونجي، محمد. (1993). المعجم المفصل في علوم اللغة. دار الكتب العلمية. القاهرة. مصر.

. عبد العزيز، محمد حسن. (2009). علم اللغة الاجتماعي. ط1. مكتبة الآداب. القاهرة. مصر.

. كامل فايد، وفاء. (2004). المجامع العربية وقضايا اللغة. ط1. عالم الكتب. القاهرة. مصر.

- Bailey, Richard W. (1992), "Hans Kurath", *Language* 68: 797-808.

- Chambers, J.K.; Trudgill, Peter (1998). *Dialectology* (2nd ed.). Cambridge University Press.

- Gunnemark, Erik (1991). "What isgeolinguistics ?" *Geolinguistics, journal of the American Society of geolinguistics*. American Society of Geolinguistics. 17: 12.

- Harold Orton et Al (1978), The Linguistic Atlas of England. 1st edu. Routledge, UK.

- H. H. Speitel and J. Y. Mather (1977), he Linguistic Atlas of Scotland: Scots section. Organized by: Linguistic Survey of Scotland. Editing by: Croom Helm.Scotland.

- Sharles, Sharon Ash. William Labov et AL (2008), The Atlas of North American English: Phonetics, Phonology and Sound Change. Walter de Gruyter, Berlin.

 E-ISSN- 2773-2886 / ISSN-2773-2894